OPEN ACCESS
Al-Qamar
ISSN (Online): 2664-4398
ISSN (Print): 2664-438X
www.alqamarjournal.com

Al-Qamar, Volume 8 Issue 4 (October-December 2025)

دراسة بلاغية لأدعية الإمام زين العابدين رحمه الله

A Rhetorical Study of the Supplications of Imam *Zain al-ʻAbidīn*

Hafiza Azka Afzal
azkazoo333@gmail.com
Visiting lecturer, Department of Arabic, GCU, Faisalabad
Dr. Iftikhar Ahmad Khan
Supervisor & In Charge, Department of Arabic, GCU, Faisalabad
iftikharahmadkhan@gcuf.edu.pk

DOI: https://doi.org/10.53762/alqamar.08.04.a01

Abstract

This article explores the concept, significance, and linguistic richness of supplication (du'a) in Islam. Derived from the Arabic root "د ع و," du'a signifies a profound act of seeking and longing towards Allah, reflecting submission and reliance. Through an analytical approach, the study highlights the essential role of supplication in the Quran and Hadith, emphasizing its multifaceted meanings such as worship, request, and invocation. Examples include Quranic verses like "Call upon Me, and I will respond to you," and prophetic sayings such as "Supplication is the essence of worship. "The discussion extends to the eloquence in the supplications of Imam Zain al-Abidin, showcasing his mastery in rhetorical devices such as command, negation, and exclamation. His supplications are a testament to the intersection of devotion and linguistic sophistication. Key themes include the transformative power of du'a in achieving closeness to Allah, seeking divine mercy, and warding off calamities. This article integrates theological insights with linguistic analysis, presenting du'a as a spiritual lifeline and a profound act of communication with the Divine. Through the eloquence of Imam Zain al-Abidin's prayers, readers are invited to appreciate the spiritual and rhetorical depth of this pivotal Islamic practice.

Keywords: Rhetorical Study, Supplications (Du'a), Imam Zain al-Abidin, Arabic Eloquence (Balagha), Conciseness, Elaboration, Cohesion, Spirituality, Devotion

الحمد لله الذي أنشأ الإنسان إنشاء من آدم وحواء عليهما السلام،تعد هذه الدّراسة الأدعية عملية مهمة للغاية في حياة المسلمين،إذ أنها تسهم في فهمهم لدينهم وكذا أنه بدأ تدوينها وترويجها في صورة نثرية خلال القرن الهجرى الأول، أولى علماء البلاغة واللغة اهتمامًا بالغًا بالنصوص الدينية والأدعية، فقاموا بدراستها وتحليلها من جوانبها البيانية والتعبيرية، واستخرجوا منها كنوزًا بلاغية تعكس روح الإيمان وصدق التوجه إلى الله. هناك العديد من الصحف والمجاميع الدعائية الأخرى التي ألّفها أو جُمعت عن أئمة أهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين وغيرهم من علماء المسلمين، وتحمل قيمة روحية وبلاغية عظيمة. إليك بعض الأمثلة البارزة على صحف أدعية مشهورة (غير الصحيفة السجادية) كما:

- الصحيفة العلوية:المنسوبة إلى الإمام علي بن أبي طالب رجمه الله(23هـ-40هـ)
- الصحيفة الفاطمية:منسوبة إلى السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنه التي تشمل أدعية، ووصايا، وأحاديث روحية.
- الصحيفة الحسينية:منسوبة إلى الإمام الحسين رحمه الله.تشتمل على أدعية فيها روح الجهاد، والتضحية، والابتهال في مواقف الشدة، ومنها أدعيته يوم عرفة.ومن أبرزها:"ماذا وجد من فقدك؟ وما الذي فقد من وجدك؟"
- الصحيفة المهديّة:تحتوي على أدعية منسوبة للإمام محمد بن الحسن المهدي المنتظر رحمه الله .فيها دعاء الندبة، ودعاء العهد، ودعاء الفرج وغيرها .ومن أشهرها:"اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن... في هذه الساعة وفي كل ساعة وليًا وحافظًا وقائدًا وناصرًا..."
- الصحيفة الزينبية:منسوبة إلى السيدة زينب بنت علي رضي الله عنه .وإن لم تكن مشهورة كغيرها، فقد نُسبت إليها أدعية ورثاء وتضرعات خلال وبعد واقعة كربلاء.
- أدعية الصحابة والعلماء:مثل أدعية الإمام الشافعي(١٥٠ - ٢٠٤ هـ = ٧٦٧ - ٨٢٠ م[1]) ، والإمام أحمد بن حنبل، والشيخ ابن تيمية، والشيخ عبد القادر الجيلاني، الذين كان لهم أدعية مشهورة تناقلتها كتب التصوف والورع.

وفي هذا السياق، تبرز أدعية الإمام زين العابدين رحمه الله كأنموذج فريد للدعاء الذي يجمع بين العبادة والبلاغة، وبين التضرع والتصوير الفني، مما يستحق الوقوف عنده ودراسته. تهدف هذه الدراسة إلى إبراز المحاسن البلاغية في أدعية الإمام زين العابدين رحمه الله، وذلك من خلال تحليل مختصر و يعكس خصائصها الأسلوبية وبلاغتها العالية.

وقد تم تقسيم هذه الدراسة إلى ثلاثة مباحث رئيسية:

- المبحث الأول: نبذة عن حياة الإمام زين العابدين رحمه الله
- المبحث الثاني: التعريف بالدعاء وأهميته في الإسلام
- المبحث الثالث: دراسة بلاغية لأدعية الإمام زين العابدين

فمن خلال هذا التقسيم، سيحاول الباحثان تقديم رؤية متكاملة عن هذا التراث الدعائي الراقي، ونكشف عن جمالياته البيانية التي تعكس سمو المعاني وبلاغة التعبير. ويبدأ الكلام بالمبحث الأول

المبحث الأول:نبذة عن حياة الشيخ زين العابدين

هو"ابن الإمام عليِّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف" [2]وهو عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب[3]، زين العابدين، ويُعرف أيضًا بـ"السجّاد"، وهو الإمام الرابع من أئمة أهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين.ولد في سنةِ ثمان وثلاثين ظناً.[4]

من أشهر ألقابه، يكنى "بأبي الحسين رحمه الله" ويقال"أبو محمد"،"و"أبو عبدالله" أيضاً.قال محمد بن إسماعيل: "علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو الحسن ، ويقال : "أبو الحسين"، كناه "محمد بن إسحاق"[5].

إختلف المؤرخون في مكان الولادة كما قال بعض كانت ولادته في اليثرب أوقال بعض ولد في الكوفة " في سنةِ ثمان وثلاثين ظناً.[6]يُنسب إلى أهل بيت النبوّة، وجدّه هو أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وجدّته فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

نشأ الإمام زين العابدين عليه السلام في بيت النبوة والعلم والعبادة[7]، وورث عن آبائه صفات النبوة ومكارم الأخلاق، وقد عُرف بكثرة التعبّد، وطول القيام في الليل، وكثرة البكاء من خشية الله، حتى لُقّب بـ"السجّاد" لكثرة سجوده، و"زين العابدين" لما ظهر عليه من سِمات العبادة والطاعة.

تلقى الإمام رحمه الله العلوم والمعارف من أبيه الإمام الحسين رحمه الله، وعمّه الإمام الحسن المجتبى رحمه الله ، وجده الإمام علي رحمه الله، وقد شهد له العلماء بالرواية، وتُعدّ "الصحيفة السجادية" من أبرز ما وصلنا من تراثه، وتضم مجموعة من أدعيته التي تعبّر عن عمق روحه، وبلاغة بيانه، وغزارة علمه.

عاصر الإمام زين العابدين عليه السلام مجموعة من الخلفاء الأمويين، منهم: يزيد بن معاوية، وعبد الملك بن مروان، والوليد بن عبد الملك، وعانى في حياتِه من الظروف السياسية القاسية التي فرضت عليه العزلة والسكوت الظاهري، فاتّخذ من الدعاء وسيلة للتعليم والتربية، فكانت أدعيته مدرسة روحية وتربوية وبلاغية متكاملة.

توفي الإمام زين العابدين عليه السلام في المدينة المنورة سنة 95 هـ، وقيل 94 هـ، ودُفن بالبقيع إلى جوار عمّه الإمام الحسن عليه السلام. وقد ترك تراثًا دعائيًا وروحيًا خالدًا، أبرز معالمه "الصحيفة السجادية"، التي تعدّ من أعظم ما وصلنا من أدب الدعاء وبلاغته.

لقد تلقّى الإمام زين العابدين رحمه الله العلم عن جماعةٍ من كبار الصحابة[8]؛ فَرَوى الحديث عن عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن جعفر، و أبي هريرة، وجابر بن عبد الله وغيرهموكان له من فقه ابن عباس و ابن عمر أوفر الحظ والنصيب، ثم اتّصلت حلقته بأئمة التابعين وعلى رأسهم سعيد بن المسيَّبوبذلك اجتمع له علم الحديث، وفقه الأحكام، وتفسير القرآن، وما يتصل بها من علوم العربية، بحسب الطريقة التعليمية الجامعة في صدر الإسلام.

المبحث الثاني:التعريف بالدعاء و أهميته

الدعاء كلمة عربية ومادتها الدال والعين والواو،وكلمة دعاء مصدر من دَعَو و دعوة ودُعَاء ودعا وهو يأتي من باب "نصر ينصر.كلمة دعاء واحد والجمع"أدعية"وهي تدل على دعاءٍ ودعوى أو الرغبةإلى الله عزّ وجل.

يسمى كلمة الدعاء باللغة الإنجليزية(supplication) وفي اللغة الأردية "پکارنا،مدد طلب کرنا" وأصل هذه الكلمة مصدر من قولك دعوت الشيء أدعوه دعاء وآخره ممدود[9] وهو مصدر قياسي لأن الأفعال التي تدلّ على الأصوات تأتي مصادرها القياسية وهو على وزن فعّال أو فعيل.

ومعنى الدعاء في اللغة العربية هي الرغبة إلى الله عزوجل. دَعَاهُ، دُعَاءً ودَعْوى، حكاها سيبويه[10] في المصادر التي في آخرها ألف التانيث ،وأنشد لبشير بن النكث: ولّت ودعواها شديد صخبة[11]

ذكر على معنى الدعاء. قال سيبويه: ومن كلامهم اللهم أشركنا في دعْوى المسلمين. وقال:

"دعوت له بخير و عليه بشر"[12]

وجآء ذكره في القرآن الكريم فقال الله تباركه وتعالى:

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[13]

وجآء ذكره في الحديث النبوى فقال النبي صلى الله عليه وسلّم:

"إنّ الدعاء هو العبادة"[14]

وسمي هذا أجمع دعاء لأن الإنسان يصدر في هذه الأشياء بقوله: يالله ياربّ يارحمن ولذلك سمي دعاء.[15]

ذكر ابن منظور في لسان العرب"الدعاء أى طلبه تعني الرغبة إلى الله عزوجل، ودعا العبد ربه، دعاه، دعاء، ودعوى[16]دعوت فلانا بفلان أى ناديته وصحت به ويقال: ما بالدار داع ولا مجيب ودعا الله له وعليه، وفي المجاز" دعاه الله بما يكره: وأنزله به [17]

قد وردت كلمة الدّعاء في مواضع كثيرة في القرآن الكريم وفي كتب الحديث النبوى. لفظ الدّعا ورد في القرآن الكريم نحو تسعين موضعاً جاء اسم فى ثمانية وأربعين موضعاً وجاء فعل أربعة وأربعين موضعا وجاء اسم مثلما قال الله تبارك وتعالى:[18]

﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدّعاء﴾[19]

وجاء فعل مثلما قال الله تباركه وتعالى:

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ﴾[20]

ولفظ الدعاء ورد في القرآن الكريم على عدة معان نذكر منها كما يلي: الأوّل "بمعنى الطلب والسؤال والثاني" "بمعنى التّسمية "كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَينَكُمْ كَدُعَآءِ بعْضِكُم بعْضًا ۚ ﴾[21]والثالث: بمعنى العبادة و الرابع: بمعنى الرغبة إلى الله عزوجل و الخامس "بمعنى الاستعانة والاستغاثة"و السادس بمعنى النداء و الثامن بمعنى الحث على الشئ و التاسع" بمعنى القول"

للدعاء أهمية كبرى وثمرات جليلة وفضائل عديدة عظيمة وأسرار بديعة في حياة المؤمن وأعظم الدعاء في حياة الرجل هو:

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيم،...عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[22]

وقد جاءت آيات كثيرة والأحاديث النبوية في أهمية الدعاء التي تبين أهمية الدعاء. قال الله تباركه و تعالى:

﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ... لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[23]

والدعاء طاعة لله قال الله عز وجل:

﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[24]

والدعاء من أعظم العبادات، عن النعمان بن بشر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال :إن الدعاء هو العبادة ثم قرأ:

﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم﴾[25]

ذكر الامام على المتقي[26] في كتاب كنز العمال عن أهمية الدعاء وقال:

"الدعاء مفتاح الرحمة، والوضوء مفتاح الصلاة، والصلاة مفتاح الجنة".[27]

وجاءذكره الدعاء في الأحاديث الأخرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونورالسموات والارض".

بعد ذكر هذه التوضيحات يتبين لنا أن كلمة دعاء تدل على جوهر العبادة ووسيلة للتواصل مع الله. يشمل الدعاء عدة معاني منها الطلب، التسمية، العبادة، والرغبة. يلعب دورًا حيويًا في حياة المسلم، حيث يساعد في تلبية الحاجات والتقرب إلى الله، ويكون ملجأً في الأوقات الصعبة. يمثل الدعاء أحد أبرز أشكال العبادة والتواصل مع الله والدعاء، وقد ورد في العديد من المواضع في القرآن والحديث الشريف، مما يبرز أهميته الكبيرة في الإسلام.

ثم بعد ذكر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية يتبين لنا أن الدعاء له أهمية عظيمة في حياة المؤمن،فهو طاعة لله وعبادة عظيمة ومفتاح الرحمة والعافية الدعاء يرد البلاء ويحقق الأمنيات ويعزز العلاقة مع الله. جاء ذكره في القرآن الكريم والأحاديث النبوية، حيث يعتبر الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين. الدعاء يجلب الخير ويدفع الشر، ويعتبر من أفضل الأعمال التي تقرب المؤمن إلى الله وتحقق له السعادة في الدنيا والآخرة.

المبحث الثالث:دراسة بلاغية لأدعية الشيخ زين العابدين

نشأ علم البلاغة في القرن الثاني الهجري، وهو العلم الذي يُعنى بدراسة فنون الإقناع والتعبير الجمالي في اللغة، وقد وردت مادة «بلغ» ومشتقاتها في القرآن الكريم في مواضع متعددة، منها قوله تعالى:

﴿وَعَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾[28]، وقوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾[29]. وتشتمل البلاغة العربية على ثلاثة علوم: رئيسة، هي :**علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع**.

يُعنى علم المعاني بكيفية تركيب الجملة العربية على نحو يحقق الغرض المعنوي المقصود، مع مراعاة اختلاف المقامات والأحوال. ويشتمل هذا العلم على مبحثي **الخبر والإنشاء**، وينقسم الإنشاء إلى :**إنشاء طلبي وإنشاء غير طلبي**.

فمن الإنشاء الطلبي: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء، ومن الإنشاء غير الطلبي: صيغ المدح والذم، والعقود، والقسم، والتعجب، والرجاء، وغيرها.

وعند دراسة أدعية الشيخ الإمام زين العابدين رحمه الله، تتجلّى المصطلحات البلاغية بوضوح، ولا سيما في توظيفه لأسلوب **الأمر** توظيفًا بلاغيًا يخدم المقام الدعائي.

1-استخدام أسلوب الأمر

الأمر أسلوب من الأساليب الإنشائية، ومادته (أ م ر)، وهو "نقيض النهي"[30] ويُعرّفه البلاغيون بأنه :*طلب الفعل على وجه* الاستعلاء والإلزام."[31] ، غير أن هذا المعنى يتحول في سياق الدعاء إلى معنى **الطلب والتضرع والابتهال**.

وللأمر أربع صيغ :**فعل الأمر، واسم فعل الأمر، والمضارع المقترن بلام الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر**.

ومن أمثلة ذلك ما ورد في دعاء الإمام زين العابدين رحمه الله بعد زيارة قبر النبي ﷺ، إذ يقول:

"... اللّهم أرددْني منكَ بِخَيرٍفإنه لا رادَّ لِفَضْلِكَ..."[32]

فكلمة »**أَرْدِدْني** «فعل أمر من الفعل *أردَّ*، ومعناه: أرجعني أو أعدني. وقد استُخدم هنا في سياق الدعاء لا على سبيل الإلزام، بل على سبيل الخضوع والتوسل، مما يعكس دقة الإمام في توظيف الصيغة البلاغية بما يلائم المقام الروحي، ويبرز جمال الأسلوب وقوة التأثير الوجداني في الدعاء..

2-استخدام أسلوب الاستفهام

بعد المطالعة المتأنّية لأدعية الشيخ الإمام زين العابدين رحمه الله، تبيّن للباحثة أنّه أكثر من توظيف **أسلوب الاستفهام** في أدعيته توظيفًا بلاغيًا دقيقًا، لما يحمله هذا الأسلوب من دلالات نفسية وروحية عميقة.

والاستفهام في اللغة مأخوذ من الفهم، يقال :*فهم الشيء* أي عقله، و*استفهمه* أي سأله أن يفهمه. وقد عرّفه ابن فارس بقوله» :*الاستفهام طلب العلم بشيء*لم يكن معلوماً من قبل"[33]

ويُقابل الاستفهام في اللغة الإنجليزية *(Query / Interrogative)*، وفي اللغة الأردية : *دریافت، سوال، استفسار کرنا*. وتُستعمل في العربية أدوات استفهام متعددة، منها :**من، متى، أي، كيف، لماذا، كم، ماذا، أين، والهمزة، وهل** .وقد بلغ عدد ورود أدوات الاستفهام في أدعية الإمام زين العابدين رحمه الله نحو **(309)**مرة، مما يدل على حضور هذا الأسلوب حضورًا لافتًا في منهجه الدعائي.

وقد استُخدم الاستفهام في أدعية الشيخ لا لطلب الجواب الحقيقي، وإنما لأغراض بلاغية متعدّدة، كالتقرير، والإنكار، والتعجب، والتوبيخ، والتواضع، وإظهار الافتقار إلى الله تعالى. ونذكر فيما يلي بعض النماذج التطبيقية لذلك:

الطريقة الأولى: الاستفهام بالهمزة

قال الإمام زين العابدين رحمه الله في دعائه:**"أ فهمت أم أعيد عليك؟"**[34]

فالهمزة في قوله »**أفهمت** «أداة استفهام يُراد بها التحقّق من الفهم، وهي من الاستفهام الحقيقي الذي يُنتظر فيه الجواب، وقد جاءت لتأكيد المعنى وإيضاح المقصود، مما يدل على دقة التعبير وحسن توظيف الأداة البلاغية.

الطريقة الثانية: الاستفهام بـ «كيف«

وقال رحمه الله:**"آه، و انفساه كيف بمعالجةِ الإغلالِ غداً"**[35]

فأداة الاستفهام »**كيف** «استُخدمت هنا استفهامًا إنكاريًا تعجبيًا، لا لطلب الكيفية، بل للتعبير عن الحيرة والخوف من أهوال الآخرة، مما يعكس عمق الشعور الوجداني، وقوة التأثير النفسي في الدعاء.

الطريقة الثالثة: الاستفهام بـ «هل«

وقال في دعائه:**"والنار التي يقال لها:هل امتلأتِ؟ وتقولُ هلْ منْ مزيد"!**[36]

فأداة الاستفهام »**هل** «وردت في سياق تصويري استحضره الإمام من المعاني القرآنية، للدلالة على شدة العذاب وسعة النار، وهو استفهام تقريري يراد به التهويل والتخويف.

الطريقة الرابعة: الاستفهام بـ «من«

وقال رحمه الله:**"ومن أنا في خلقك يا سيدي ومولاي؟!"**[37]

فالاستفهام بـ »**من** «هنا ليس للسؤال عن الهوية، وإنما للتعبير عن التواضع، واستصغار النفس أمام عظمة الخالق، وهو من أبلغ أساليب الاستفهام البلاغي في مقام العبودية.

الطريقة الخامسة: الاستفهام بـ «أيّ«

وقال في دعائه:**"أيُّ مستجيرٍ بفضلك لمْ ينلْ منْ فيضِ جودك؟"** [38]

فأداة الاستفهام »**أيّ** «جاءت هنا للاستفهام الإنكاري، إذ يُنكر وجود من استجار بفضل الله ولم ينل من عطائه، وهو أسلوب يفيد التقرير والتأكيد على سعة رحمة الله وكرمه.

الطريقة السادسة: الاستفهام بـ «أين«

وقال رحمه الله::**"فأَيْنَ رَجآئي مِنْك أيْنَ مخافتي؟"**

فالاستفهام بـ »**أين** «استُخدم للتعبير عن التفكّر والمحاسبة النفسية، وهو استفهام تأمّلي يعكس القلق الروحي، والبحث عن حقيقة العلاقة مع الله تعالى.

الطريقة السابعة: الاستفهام بـ «كم«

وقال في دعائه:" فكم أتوب منها؟ وكم أعود إليها؟[39]

فأداة الاستفهام »**كم** «جاءت للدلالة على الكثرة والتكرار، وهو استفهام يحمل معنى الندم والتحسّر على كثرة الذنوب، ويُبرز الصراع الداخلي للنفس الإنسانية.

3-استخدام النهي(use of prohibition)

يُعَدّ أسلوب **النهي** من الأساليب الإنشائية البارزة في علم المعاني، وهو من الوسائل اللغوية التي تُسهم في إبراز المعاني النفسية والروحية في الخطاب الدعائي. وعند تأمّل أدعية الشيخ الإمام زين العابدين رحمه الله، نجد أنّه أكثر من استخدام صيغ النهي، لا على سبيل المنع الحقيقي، بل لما تحمله من دلالات بلاغية كالدعاء، والالتماس، والتضرّع، والاستغاثة..

ومن أمثلة ذلك قوله رحمه الله::**"اللَّهُمَّ لَا تهْلِكنَا وَ اَنْتَ بِنَا برٌ**[40]**"**

استخدم الشيخ كلمة "لا" في المثال "اللَّهُمَّ لَا ..." وهي أداة نهي تُستخدم للدعاء بعدم حدوث شيء معين. تُستخدم "لا" في هذا السياق،للدعاء والطلب من الله بعدم إهلاك المتكلم ومن معه، والاستغاثة برحمة الله وبره. تُوضع "لا" في بداية الجملة لتشير إلى النهي.تتميّز أدعية الإمام زين العابدين رحمه الله بثراءٍ بلاغي واضح، حيث يوظّف الأساليب التعبيرية توظيفًا دقيقًا يخدم المعنى الروحي والوجداني

4-أسلوب التعجب

قال ابن فارس في كتابه أن التعجب فتفضيل الشخص من الأشخاص أو غيره على أضرابه بوصف كقولك،[41]. ومن أبرز هذه الأساليب **أسلوب التعجب**، الذي يُستخدم لإظهار الدهشة والإعجاب وتعظيم المقام الإلهي، وله صيغتان مشهورتان هما :*ما أفعله* و *أفعل به* .ومن ذلك قوله ::**"فسبحانك ما أعظم شأنك، وأعلى مكانك**[42]"، حيث جاءت أداة التعجب »**ما** «لتأكيد عظمة الله وعلو مكانته بأسلوب مؤثر يجمع بين الجلال والجمال.

5-أسلوب القصر

كما يبرز **أسلوب القصر** في أدعيته، وهو تخصيص أمرٍ بأمرٍ بطريق مخصوص ، ويُستخدم لتأكيد المعنى وحصر الفعل في فاعله الحقيقي.

ومن أمثلته قوله :**"إلهي كسري لا يجبره إلا لطفك .... لا يسدها إلا طولك.**[43]**"**

حيث تحقق القصر بطريق النفي والاستثناء، فدلّ على انفراد لطف الله بجبر الكسر دون سواه. ويكشف هذا الأسلوب عن عمق التوحيد وكمال الافتقار إلى الله، مما يمنح الدعاء قوة دلالية وتأثيرًا بلاغيًا بالغًا.

6-ذكر الفصل والوصل

الفصل والوصل من أبرز الأساليب البلاغية التي تُستخدم لتنظيم المعنى وإضفاء الإيقاع على النص. فالفصل يبرز استقلالية كل عبارة ويزيل اللبس، كما في دعائه :

:"**سبحان من أشرق ... العباد ولا شئ يحجبه.**[44]**"**

«، حيث تكرار كلمة »*سبحان* «يعزز شعور التعظيم. أما الوصل فيربط الأفكار ويُظهر الترابط، كما في قوله :**"وصمد لا كفو له" ،"الباقي بلا نهاية"**[45]

حيث حرف العطف »و «يربط صفات الله في تتابع سلس.

7-ذكرالإيجازوالإطناب

استعمل الإمام زين العابدين الإيجاز والإطناب بحسب غرض الدعاء. فالإطناب يظهر في قوله:

"**اللهم وإن كان علمك قد سبق بشقوتي، وكنت عندك من المعذبين لخطيئتي...**"[46]

، حيث يُفصّل في الشقاء والعقاب لتعميق الإحساس بالتضرع. بينما يظهر الإيجاز في قوله :

"اللهم إني أصبحت متمسكا ... مؤملا فضلك"[47]،

حيث اختصر المعاني الكبيرة في جملة قصيرة تُعبّر عن التمسك والطاعة والرجاء بوضوح.

8-حسن الديباجة والانتهاء

يُظهر الدعاء جودة البناء من البداية إلى النهاية. يتجلى في قوله:

"**اللهم يا من خص محمدا وآله بالكرامة، وحباهم بالرسالة وخصصهم بالوسيلة**"[48]

، حيث يُستهل الدعاء بذكر صفات الله وفضله. وحسن الانتهاء يتضح في قوله:

"وصل على التابعين...، وعلى من أطاعك منهم"[49]،

حيث يُختتم الدعاء بالصلاة والسلام على الصالحين، مما يعكس شمولية الدعاء وسلامة ختامه.

9-البراعة وبراعة الإستهلال

البراعة مادّتها(ب،ر،ع) ومعناها تم في كل فضيلة وجمال،التفوّق،والبراعة في اللغة "كمال الفضل"فقد برع فيه[50].البراعة تتمثل في استخدام اللغة بأسلوب مؤثر وجمالي،كما في قوله :

"اللهم يا من خص محمدا وآله بالكرامة، ... على كل شئ قدير"[51]

حيث تُبرز الكلمات مثل *»الخص بالكرامة والحبّ «*قدرة الإمام على التعبير عن المعاني الروحية بفعالية. أما براعة الإستهلال فتظهر في دعائه:

"يا من برحمته يستغيث المذنبون" و"يا من إلى ذكر إحسانه يفزع المضطرون"[52].

والبراعة في اللغة "كمال الفضل" برع الرجل براعةً في الجمال والعلم، فهو بارع.كل ما يلمع بالجمال والنضارة وغيرها من محاسن الأمور، فقد برع فيه[53].، حيث يُفتتح النص بأسلوب جذاب وملهم.

10-الإيجاب والسلب

استعمل الإمام زين العابدين الإيجاب والسلب للتعبير عن المعاني الروحية. فالإيجاب يظهر في قوله:

"إلهي لا تخيب من لا يجد معطيا غيرك، ولا تخذل من لا يستغني عنك بأحد دونك[54].

حيث يُبرز التأكيد على الاعتماد على الله. أما السلب فيظهر في قوله قال الإمام زين العابدين رحمه الله في دعائه:

"**و افقأ عني عيون الكفرة**."[55]

في المثال الأول" لا تخيب من لا يجد معطيا غيرك، ولا تخذل من لا يستغني"وا" وافقأ عني عيون الكفرة "تدل على الإيجاب.

يُستخدم السلب هنا للتعبير عن حالة من الضعف والتوسل، حيث يعبر المتحدث عن شعوره بالذل والخضوع الكامل أمام الله. طلبه بعدم الرد بشكل سلبي يُبرز شعوره بالاحتياج العميق إلى رحمة الله.

أمثلة السلب من الصحيفة السجادية كما يلي:

قال الإمام زين العابدين رحمه الله:**"ولا تجبهني بالرد وقد انتصبت بين يديك**[56]

يُستخدم السلب هنا للتعبير عن حالة من الضعف والتوسل، حيث يعبر المتحدث عن شعوره بالذل والخضوع الكامل أمام الله. طلبه بعدم الرد بشكل سلبي يُبرز شعوره بالاحتياج العميق إلى رحمة الله.

خلاصة القول

جميع الاستخدامات البلاغية تدل على مهارة الإمام زين العابدين رحمه الله في البلاغة، وتعكس ثقافته العميقة ومعرفته الواسعة بالأساليب البلاغية في اللغة العربية.

تعكس هذه المهارة البلاغية عمق ثقافته وبيانه، مما يجعله قدوة في استخدام اللغة لتحقيق الأهداف التواصلية والدينية. دراسة تأثير علم المعاني في كلام الإمام السجاد تبرز مدى غنى التراث البلاغي في اللغة العربية تُظهر براعة الإمام في استخدام هذا العلم ليس فقط كأداة تواصلية، بل كوسيلة لتعميق الفهم الديني والأخلاقي.

نتائج البحث

في ضوء التحليل البلاغي الدقيق لأدعية الإمام زين العابدين رحمه الله، خلصت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج العلمية الموثقة، يمكن عرضها في نقاط على النحو الآتي:

- أثبتت الدراسة أن أدعية الإمام زين العابدين تمثل نصوصًا بلاغية مكتملة الأركان، تجمع بين صدق التوجه التعبدي وعمق البناء الفني، مما يضعها في مصاف النصوص الأدبية الرفيعة في التراث العربي الإسلامي.
- تبيّن أن الدعاء عند الإمام ليس مجرد وسيلة للطلب، بل خطاب تربوي وروحي مقصود، استُخدمت فيه البلاغة أداةً لتشكيل الوعي الديني، وترسيخ قيم العبودية، والتزكية الأخلاقية.
- كشفت الدراسة عن حضورٍ كثيفٍ ومنظّمٍ لأساليب علم المعاني في أدعيته، ولا سيما: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتعجب، والقصر، والفصل والوصل، والإيجاز والإطناب، والإيجاب والسلب، بما يدل على إدراكٍ عميق لمقتضيات المقام وأحوال المخاطَب.
- ثبت أن أسلوب الأمر في أدعية الإمام خرج عن دلالته الأصلية القائمة على الاستعلاء، ليتحوّل إلى صيغة دعائية تعبّر عن التضرع، والرجاء، والالتماس، وهو ما يعكس كمال العبودية وتمام الخضوع لله تعالى.
- أظهر توظيف الاستفهام البلاغي بأدواته المتنوعة وظيفة دلالية ونفسية بارزة، إذ استُخدم للتقرير، والإنكار، والتعجب، والتوبيخ الذاتي، وإظهار الافتقار والذل بين يدي الله، لا لطلب الجواب الحقيقي.
- دلّ استعمال أسلوب النهي في أدعية الإمام على بعدٍ وجداني عميق، حيث جاء النهي بمعنى الدعاء وطلب الرحمة ودفع البلاء، بعيدًا عن معناه الأصلي في الزجر والمنع.
- أبرزت الدراسة حسن التوظيف بين الإيجاز والإطناب؛ فالإيجاز استُخدم لتكثيف المعاني العقدية الكبرى في عبارات موجزة مؤثرة، بينما جاء الإطناب في مقامات الاعتراف بالذنب والتذلل، لتعميق الأثر النفسي والروحي للنص.
- تبيّن أن الإمام زين العابدين أولى عناية واضحة بحسن الابتداء وحسن الانتهاء، إذ تبدأ أدعيته غالبًا بتمجيد الله وذكر صفاته، وتُختتم بالدعاء الشامل أو بالصلاة والسلام، مما يحقق وحدة بنائية وانسجامًا دلاليًا.
- كشفت الدراسة عن براعة الإمام وبراعة استهلاله في بناء النص الدعائي، من خلال الجمع بين جمال اللفظ، وصحة المعنى، وقوة التأثير، مع الإشارة المبكرة إلى المقصد العام للدعاء.
- أثبت التحليل أن الفصل والوصل يؤديان دورًا أسلوبيًا مهمًا في تنظيم المعنى وضبط الإيقاع، حيث يُبرز الفصل استقلال الصفات والمعاني، بينما يحقق الوصل الترابط والتتابع الدلالي بين الجمل.
- دلّ توظيف الإيجاب والسلب على عمق التجربة الإيمانية للإمام، إذ عبّر بالإيجاب عن الرجاء والثقة بسعة رحمة الله، وبالسلب عن الخوف، والانكسار، والافتقار الكامل إلى الله تعالى.
- خلصت الدراسة إلى أن أدعية الإمام زين العابدين تشكّل مدرسة بلاغية وروحية متكاملة، استُثمرت فيها البلاغة لخدمة المقاصد العقدية والتربوية، لا بوصفها ترفًا لغويًا، بل وسيلة فاعلة لبناء الإنسان المؤمن.

- تؤكد النتائج أن الصحيفة السجادية تُعد من أرقى نماذج أدب الدعاء في التراث الإسلامي، لما تحمله من توازن دقيق بين البلاغة والروحانية، وبين الجمال الفني وصدق التوجه التعبدي.
- تسهم هذه الدراسة في إبراز القيمة البلاغية لأدعية الإمام زين العابدين، وتفتح آفاقًا بحثية جديدة لدراسة النصوص الدعائية بوصفها خطابًا لغويًا وروحيًا ذا أبعاد جمالية وتربوية عميقة.

المصادروالمراجع

[1]- خير الدين للزركلي, الأعلام للزكلي, دار العلم للملايين, الطبعة: الخامسة عشر / مايو ٢٠٠٢ م, 26/6.

1 الذهبي: شمس الدين، سيرأعلام النبلاء، دارالكتب العلمية، بيروت لبنان: ٣٨٦/٤

[2]السخاوي، محمّد بن عبد الرّحمن،شمس الدّين، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت:دار الجيل،ط1، 1992م،133/3

[3] الذهبي: شمس الدين، سيرأعلام النبلاء، دارالكتب العلمية، بيروت لبنان: ٣٨٦/٤

[5] البخاري:محمد بن إسماعيل،التاريخ الكبير،المكتبة العربية،دمشق:١٤٤٩ء، ٢٦٦/٦.

[6] الذهبي: شمس الدين، سيرأعلام النبلاء، دارالكتب العلمية، بيروت لبنان: ٣٨٦/٤

[7] القرشي: باقر شريف، "حياة الإمام زين العابدين، ص:١٢-٢٠-

[8] ابن سعد ، الطبقات الكبرى، 5/211، وأنطر أيضا الذهبي ,سير أعلام النبلاء، جـ 4/ 386،

[9] القرشي: ابن دريد ، محمد بن الحسن ،(٢٢٣ - ٣٢١ هـ/ ٨٣٨ - ٩٣٢ م) يعتبر من أئمة اللغة والأدب في العصر العباسي. جمهرة اللغة، دار العلم للملايين،بيروت: ١٩٨٧،ط:١، ٢٤٢/٣

[10] هو أحد أعظم علماء اللغة العربية والنحو. اسمه الكامل هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ولد في أواخر القرن الأول الهجري (148 هـ/ 765 م) وتوفي في بداية القرن الثاني الهجري (180 هـ/ 796 م). يُعَدُّ من أبرز علماء اللغة العربية في تاريخ الإسلام، ويشتهر بكتابه "الكتاب" حنا الفاخوري,"تاريخ الأدب العربي".ص: 313. أنظر: محمد عبد الخالق عضيمة, "سيرة سيبويه" ص: 4 و أنظر: محمد محي الدين عبد الحميد "مقدمة في النحو العربي" .ص: 45.

5 ابن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم، دار الكتب العلمية ، بيروت:٢٠٠٠،ط:٣،١/٢٤٢

[6]سيبويه، الكتاب، مكتبة الخانجي، القاهرة: ١٩٨٨م،ط:٤،٣/٤٠

[7]سورة آل عمران،الآية:٣٧

[14]- أبو عيسى، سنن الترمذي، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان: ١٩٩٧م،٥/٦٨٦

[15]- الأزهري، محمد بن محمود، تهذيب اللغة، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان: ٢٠٠٧م،٣/٧٦

[16]- ابن منظور الإفريقى، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر بيروت ١٤١٤هـ، ١٤/٢٥٧

[17]- الزمخشري، اساس البلاغة، دار احياء التراث العربي بيروت، ص:٢٢

[18]- سورة الإبراهيم، الآية: ٣٩

[19]- سورة إبراهيم، الآية: 38

[20]- سورة البقرة، الآية: ٢٢١

[21]- سورة النور، الآية: ٤٣

[22]- سورةالفاتحة، الآية: ٦

[23]- سورة اليونس، الآية : ١٠

[24]- سورة الأعراف، الآية: ٢٩

[25]- أبو عيسى: محمد بن عيسى، سنن الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: ١٩٩٧م، ٥/٣٨٧.

[26]- هو علي بن حسام الدين، المعروف بالإمام علي المتقي الهندي، وهو من علماء الحديث البارزين في القرن العاشر الهجري. وُلد في الهند وتوفي في عام 975 هـ/ 1567 م. يُعَدُّ من أبرز علماء الحديث في الهند، واشتهر بكتابه "كنز العمال"، الذي هو جمع ضخم لأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم.أنظر: في حنا الفاخوري,"تاريخ الأدب العربي"،ص: 456،أنظر: "البرهان في تاريخ علماء الإسلام" تأليف عبد الله بن عبد الرحمن، ص: 120.

[27]- علاء الدين على المتقى،كنز العمال، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ٢٠١٦م،٢٦/٢.

[28] النور: 54

[29] الطلاق: 2

[30] ابن منظور الإفريقى، جمال الدين محمد بن مكرم،لسان العرب ، ٢٦/٤.

[31] إنعام فوال عكاوي.د.،المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني ،ص: ٢١٩.

[32] السيد محمد باقر، الصحيفة السجادية الجامعة،ص:٥٨٩

[33] - إنعام فوال عكاوي.د.،المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني ،ص: ١٢٢

[34] -السيد محمد باقر، الصحيفة السجادية الجامعة ،ص:٦٠٨

[35] - السيد محمد باقر، الصحيفة السجادية الجامعة ، ص:٤٢٩

[36] - المصدر السابق، ص:٥٩٦، أنظر: للمزيد، ص:٣٣،س ٣،ص : ١٦٠،س ٢،ص : ٢١٩،س :١،ص : ٣٣٦،س :٥،

[37]- المصدر السابق, ص:٥٩٣

[38]- السيد محمد باقر، الصحيفة السجادية الجامعة ، ص:٥٧٨

[39]- المصدر السابق, ص:٤٨٠،و أنظر: للمزيد، ص: ٣٥٥،س :٣،ص :٣٥٦، س :٤،ص :٣٦٠، س :٣،٨،ص :٣٦٠، س :٦،ص :٣٨١،س :٣ ،ص :٣٨٣،س :١٠،

[40] - المصدر السابق، ص:٦٠

[41] -إنعام فوال عكاوي.د.،المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني،ص: ٣٨٢

[42] -السيد محمد باقر، الصحيفة السجادية الجامعة،ص: ٤١٨

[43]- السيد محمد باقر،الصحيفة السجادية الجامعة ، ص: ٤١٥

[44]-المصدر السابق, ص: ٢٤

[45]- المصدر السابق، ص ٢١

[46]-المصدر السابق، ص: ٣٩

[47]- المصدر السابق ، ص: ٤٨

[48]- السيد محمد باقر،الصحيفة السجادية الجامعة ، ص:٤٣

[49]-المصدر السابق، ص: ٤٥

[50]- القرشي: ابن دريد، جمهرة اللغة، دار العلمية بيروت، ١٩٨٧م، ٣١٦/١.

[51]- السيد محمد باقر،الصحيفة السجادية الجامعة ،ص: ٤٣

[3]-المصدر السابق،ص: ٩٩

[53]- القرشي: ابن دريد، جمهرة اللغة، دار العلمية بيروت، ١٩٨٧م، ٣١٦/١.

[5]- المصدر السابق، ص: ١٠٠

[55]- المصدر السابق ، ص: ١٥٠

[2]- المصدر السابق، ص: ٨٥